الْوِحْدَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ

فِي السُّــوَرِ الْقُــرْآنِيَّةِ

إعْدادُ :

د. عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُضَيْرِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيْعَةِ فِي جَامِعَةِ الْقَصِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ومجتباه من خلقه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الرسالة الخاتمة، التي أراد الله ﷻ أن يكون هادياً وحاكماً للمجتمع الإنساني إلى أن تقوم الساعة. ولأجل هذا كان كتاب عقيدة وشريعة وهداية وأخلاق وسلوك. وتضمن من الأحكام والدلالات والهدايات ما يهم الناس ويحقق مصالحهم في العاجل والآجل. فاهتم بالجانب الروحي، مبيناً مهمات العقيدة الحقة، وكاشفاً عن الانحراف والزيغ الواقع في الموروثات الجاهلية، والديانات المحرفة. وعني بالجانب التشريعي في العبادات والمعاملات؛ فحدد علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بغيره من سائر الناس. وأرسى القواعد الأخلاقية والسلوكية التي تحكم المجتمع؛ فينضبط أفراده وفقها، ويتعاملون بمقتضاها.

ولما كان القرآن الكريم مقسماً إلى سور متعددة، تستقل كل منها باسمها وآياتها وبدايتها ونهايتها، ولما كانت هذه السور تختلف طولاً وقصراً وتقدماً وتأخراً بحسب ترتيب النزول؛ كانت الموضوعات التي تتناولها، والطريقة التي تعرض بها تختلف من سورة إلى سورة. والمتأمل يرى أن هذه السور – وإن كثرت آياتها – لها موضوع بارز، وغرض أساسي، مما يمكن معه أن يقال إن لكل سورة قرآنية وحدة موضوعية مستقلة بذاتها.

وفي هذا البحث دراسة لهذا الأمر، أستعرض فيه بعض السور، محاولاً الكشف عن موضوعها الأساسي ومحورها الرئيسي، ومستعيناً في سبيل ذلك ببعض الأدوات والمعطيات المعروفة مسبقاً. وأقدم لذلك بمقدمات مهمة تمس الحاجة إليها لتحقيق الغرض المقصود.

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث، كما يلي:

المبحث الأول: الموضوعات القرآنية.

المبحث الثاني: وحدة الموضوع.

المبحث الثالث: تحديد موضوع السورة.

المبحث الرابع: الوحدة الموضوعية في سور مختارة. وتشمل سور: الفاتحة والبقرة والكهف والأحزاب والتحريم.

ولا أدعي بعد ذلك أني أوفيت الموضوع حقه؛ إذ هو أكبر من أن يفي به بحث مختصر كهذا، ولكن حسبي بذل الجهد واستفراغ الوسع، والإسهام في دراسة الموضوع ومناقشة أبعاده وجوانبه. أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في الأمر كله، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول : الموضوعات القرآنية

امتد نزول القرآن الكريم ليشمل مدة زمنية بلغت ثلاثاً وعشرين سنة، نزل خلالها مائة وأربع عشرة سورة، تختلف في طولها وموضوعاتها وأساليبها باختلاف المرحلة الزمنية التي نزلت فيها. وقد اشتهر عند المؤلفين في علوم القرآن تقسيم مراحل النّزول إلى مرحلتين: مكية ومدنية، مع اختلاف بينهم في ضابط كل مرحلة، حيث اختلفوا في ذلك على أقوال ثلاثة:

الأول: أن المعتبر في التقسيم هو مكان النزول، فما نزل بمكة فهو مكي، وإن كان نازلاً بعد الهجرة، وما نزل بالمدينة فهو مدني. ويرد على هذا القول عدم ضبطه، إذ لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة كالذي نزل في حال السفر.

والثاني: أن المعتبر في ذلك هو المخاطب، فما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي، وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني. وعليه فكل ما صدر بـ ﴿يا أيها الناس﴾ فهو مكي، وما صدر بـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو مدني. ويرد على هذا القول ما ورد على سابقه من عدم الضبط، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بإحداهما، كما يرد عليه عدم الاطراد في جميع موارد هاتين الصيغتين، إذ هناك آيات مدنية صدرت بـ ﴿يا أيها الناس﴾، وهناك آيات مكية صدرت بـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.

والثالث: أن المعتبر هو زمن النزول، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي وإن كان نزوله بغير مكة، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن كان نزوله بغير المدينة. وهذا القول هو الصحيح لضبطه وحصره واطراده، وسلامته مما ورد على سابقيه، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

ولمعرفة السور المكية والسور المدنية طريقان لا ثالث لهما، أولهما: الرواية

عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه رضي الله عنهم. وثانيهما: النظر والاجتهاد، والاعتماد على بعض الضوابط التي عرف بالاستقراء ارتباطها بالتنزيل المكي أو بالتنزيل المدني.

ولما كان المروي في هذا الشأن بطريق صحيح قليلاً؛ كان الاعتماد على الطريق الثاني أكثر؛ إذ استطاع العلماء بإعمال الضوابط المشار إليها أن يميزوا بين السور المكية والمدنية، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقسموا كل واحدة من هاتين المرحلتين الرئيسيتين إلى ثلاث مراحل فرعية، فجعلوا المرحلة المكية مرحلة أولى وثانية وثالثة، وفعلوا كذلك في المرحلة المدنية، ووضعوا لكل واحدة من هذه المراحل الفرعية الست خصائص ومميزات تتعلق بناحيتي الأسلوب والموضوع، وتفترق بها كل مرحلة عن المراحل الأخرى.[1]

وهذا التقسيم المذكور للسور ليس وليد العصر، بل قال به بعض المحققين من علمائنا السابقين، وشددوا على ضرورة الأخذ به. قال أبو القاسم النيسابوري [2] في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن): «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك...»[3]

---

(١) انظر: الإتقان ٩/١، مناهل العرفان ١٩٥/١، مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح: ١٦٩، ١٨٥، مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان: ٦٠، ٦١، دراسات في التفسير الموضوعي: ٥٣، التمييز بين التنزيل المكي والمدني: ٤.

(٢) أبو القاسم محمد بن حبيب بن أيوب النيسابوري، إمام عصره في معاني القرآن وعلومه كان أديباً نحوياً عارفاً بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه في الآفاق. صنف في القراءات والتفسير والآداب. مات في ذي الحجة سنة ٤٠٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٥، شذرات الذهب ١٨٠/٣، العبر ٩٥/٣.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ١٩٢/١.

وإذا كان الغرض من هذا المبحث هو دراسة موضوعات القرآن الكريم؛ فإنه يمكن القول إن الفترة المكية بمراحلها الثلاث قد اهتمت بأمرين رئيسيين:

أولهما: بيان المعتقد الصحيح؛ بإثبات وحدانية الله ﷻ، وتقرير حقيقة البعث، والدعوة إلى الإيمان بالرسالات السماوية. ويندرج تحت ذلك سرد قصص الأنبياء والأمم الغابرة، ومجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

وثانيهما: العناية بالجانب السلوكي، والدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير. فالسور المكية – قصيرة كانت أو طويلة – لا يخلو الأمر فيها من العناية بهذين الجانبين الأساسيين، أو بأحد فروعهما.

وعند التفصيل يمكن القول إن المرحلة المكية الأولى قد عالجت القضايا الرئيسية التالية:

أ – توحيد الله تعالى بالعبادة، وتنزيهه ﷻ عما لا يليق به، ووصفه بصفات الكمال؛ مع إبراز صفة القدرة.

ب – الحديث عن اليوم الآخر، وما يكون بين يديه من الأحداث الكونية؛ مع عرض مشاهد القيامة، والثواب والعقاب، وتصوير نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار.

جـ – تقرير حقيقة الوحي، ووحدة الرسالات في المنشأ وأصول الدعوة؛ مع عرض بعض النماذج لمواقف الأنبياء مع أقوامهم، وبيان سنة الله تعالى في إنزال العقوبات العاجلة بالمكذبين، ونصرة المرسلين ومن معهم.

د – التلويح بعالمية الدعوة وشموليتها. ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ (التكوير: ٢٧).

هـ – التعرض بشكل موجز إلى بيان أمهات الأخلاق؛ مع الحث على التمسك بها، والتنديد بمرذولها؛ لا سيما ما كان سائداً في المجتمع الجاهلي.

ومن أمثلة سور هذه المرحلة سورة العلق، والمدثر، والتكوير، والأعلى، والليل، والشرح، والعاديات، والنجم.

أما المرحلة المكية الثانية فموضوعاتها هي موضوعات المرحلة السابقة، لكن اختلف أسلوب عرضها ومناقشتها، وتعددت طرق الحوار مع المنكرين؛ من خلال لفت الأنظار إلى الكون المحيط، وإلى طبيعة النفس البشرية، واتسع مجال الاستدلال على قضية التوحيد؛ لإفحام المشركين وردّ شبهاتهم، وكذا توسع نطاق ضرب الأمثلة في مجال الاستدلال على إمكان البعث، وكذا الحال في قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ فقد فُصّل ذلك بعد ما كان يذكر في المرحلة السابقة مجملاً.

ومن موضوعات هذه المرحلة أيضاً:

أ – الحديث عن نشأة الكون، وخلق آدم وإبليس.

ب – بيان الحكمة من وجود الناس، وأن خلقهم لم يكن عبثاً؛ مع التذكير بنعم الله تعالى عليهم.

ج – الدعوة إلى التفكر في مشاهد الكون، وفي مصيرها، ومصير الناس.

د – تسفيه عقول المشركين، ووصم آلهتهم بالنقائص، وإبراز عجزها وضعفها.

هـ – الترغيب في العمل الصالح، والموازنة بين المؤمنين العاملين للصالحات وغيرهم.

و – تصوير نعيم الجنة، وعذاب النار، في لوحتين متقابلتين حافلتين بالمشاهد والظلال.

ز – وضع الموازين الحقيقة للحكم على الأشخاص والقيم والأخلاق.

ومن أمثلة سور هذه المرحلة سورة ق، والقيامة، والمرسلات، والبروج،

والطارق، والبلد، والقارعة، والهمزة.

وأما المرحلة المكية الثالثة فتناولت موضوعات عدة، منها:

أ – ترسيخ جوانب العقيدة، وإبطال مزاعم المشركين المتعلقة بها؛ كزعمهم أن الملائكة بنات الله ﷻ، وزعمهم وجود نسب بين الله ﷻ والجن.

ب – التركيز على قضايا الغيب، لا سيما قضية الوحي، والملائكة، والجن، والأنبياء السابقين.

ج – التوسع في ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم.

د – ترسيخ المفاهيم والقيم الصحيحة، والدعوة إلى العمل الصالح، وإبطال موازين الجاهلية في الحكم على الناس.

هـ – التعرض المجمل لبعض قضايا أهل الكتاب، وذكر بعض انحرافاتهم؛ كما في سورة الإسراء.

و – الإشارة إلى أهمية طاعة الله ورسوله، والانقياد لأمرهما؛ تمهيداً لما سيفرض في المرحلة المدنية. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في معرض قصص الأنبياء، ومطالبتهم لأقوامهم بالطاعة.

ز – الحديث عن الهجرة، وعن أجر المهاجرين في سبيل الله؛ تمهيداً للأمر بها.

ومن سور هذه المرحلة سورة الأنعام، ويونس، وهود، والنحل، والكهف، وآل حم.

أما الفترة المدنية فقد جاءت في واقع يختلف عن الواقع المكي؛ إذ أصبح المسلمون جماعة مستقلة، لهم كيان وشوكة؛ فجاء التنزيل المدني لبناء ذلك المجتمع المسلم، وتنظيم شؤونه بأحكام وتشريعات تفصيلية، كما جاء بالأسس العامة والقواعد الكلية، التي يندرج تحتها ما جدّ ويستجد من قضايا البشر،

جماعات وأفراداً، في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

وبالإضافة إلى ذلك عني التنزيل المدني بالأسس والقواعد العامة لتعامل المسلمين مع غيرهم، وهو ما يعرف اليوم بالعلاقات الدولية. يظهر ذلك فيما أبرمه الرسول ﷺ من معاهدات عند قدومه المدينة، وما صنعه في صلح الحديبية، وما كان يجري من معاهدات والتزامات مع بعض قبائل العرب قبل الفتح، ومع أهل الكتاب قبل الفتح وبعده، كالعهود مع يهود المدينة ونصارى نجران. وكذا بعثه ﷺ الرسل بكتبه إلى ملوك الدول المحيطة بجزيرة العرب، يبلغهم فيها رسالة ربه ﷻ، ويدعوهم إلى الإسلام، متجاوزاً بذلك الحدود المكانية القريبة إلى العالم الخارجي؛ لتأخذ الدعوة الإسلامية بعداً عالمياً، ينسجم مع عالميتها وكونها للناس أجمعين.

وعند التفصيل يمكن القول إنه قد تم في المرحلة المدنية الأولى تناول الموضوعات التالية:

أ – الأمر الصريح بطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وتأكيد ذلك بصيغ عدة، شملت الأمر المباشر، والنهي عن المخالفة، والثناء على أهل الطاعة، وعدّ طاعة الله ورسوله من صفات المؤمنين الصادقين.

ب – الاستمرار في تنقية العقيدة، وتخليصها من شوائب الشرك والانحراف، وذلك من خلال مجادلة أهل الكتاب، وبيان ضلالهم.

ج – تعميق المفاهيم الأساسية في توحيد الألوهية، وتوضيح سنة الله تعالى في الرسالات عامة، وفي رسالة محمد ﷺ خاصة، مع العناية ببناء الشخصية الإسلامية المستقلة.

د – الإذن بالجهاد في سبيل الله، مع الحث عليه، وبيان فضله.

هـ – البدء بتشريع الأحكام العملية في العبادات والمعاملات، ومراعاة

أحوال المخاطبين بذلك؛ من خلال التدرج في التشريع.

و – ظهور أحكام المنافقين.

ومن أمثلة سور هذه المرحلة سورة البقرة، والأنفال، وآل عمران، والنساء، والحديد.(١)

وفي المرحلة المدنية الثانية تم تناول ما يلي من الموضوعات:

أ – الاستمرار في تشريع الأحكام في العبادات والمعاملات، بإضافة أحكام جديدة، أو نسخ ما تقدم إلى بدل أو دونه، أو تفصيل ما سبق إجماله، أو تقييد مطلقه، أو تخصيص عمومه.

ب – العناية بالمجتمع الإسلامي، والعمل على استقلاليته وتميزه بعقيدته وسلوكياته وأخلاقياته. إذ يلحظ في هذه المرحلة التركيز على عقيدة الولاء والبراء، والنص على أهمية ترابط المجتمع، وانتشار قيم المحبة والمودة والتراحم بين أفراده؛ ليكونوا بذلك لحمة واحدة، وجسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له بقية الجسد بالحمى والسهر.

ج – حماية المجتمع الإسلامي من أعدائه المتربصين داخلياً وخارجياً، وفي هذا السياق تزايد الحديث عن أحوال المنافقين وصفاتهم ونواياهم، وجليت حقيقة الكفار من أهل الكتاب ومشركي العرب؛ ببيان شدة عداوتهم

---

(١) هذه السور – لا سيما الطوال منها – لم تنزل جملة واحدة، بل امتد نزولها ليشمل المرحلة المدنية كلها. فالبقرة مثلاً أول ما نزل بالمدينة، ومع هذا ففيها آيات نزلت في منتصف الفترة المدنية، كقوله تعالى: ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾(البقرة: ١٩٦) فإنها نزلت في سنة ست، وفيها آخر آية نزلت من القرآن على الإطلاق، وهي قوله تعالى: ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ (البقرة: ٢٨١). وعلى هذا فالحكم على طوال السور المدنية من حيث مرحلة النزول إنما يراعى فيه نزول أكثر آياتها، لا كلها.

للمسلمين، وحرصهم على القضاء عليهم.

د – إيجاب الجهاد في سبيل الله، والوعد عليه بعظيم الجزاء في الدنيا والآخرة. وفي هذه المرحلة كان الجهاد فرض عين على كل قادر؛ إذ المسلمون لا يزالون قلة، والأعداء المتربصون الطامعون يحيطون بهم من كل جهة، والحاجة ماسة إلى كل قادر على حمل السلاح.

ومن سور هذه المرحلة سورة النور، والأحزاب، وسورة محمد ﷺ، وسورة المجادلة، والحشر، والممتحنة، والمنافقون.

أما المرحلة المدنية الثالثة ففيها من الموضوعات ما يلي:

أ – إقرار الأحكام الشرعية في صورتها النهائية، وقد شمل ذلك أحكام العبادات والأيمان والعهود والنذور والبيوع والمداينات والرهن والربا، وأحكام الأحوال الشخصية من نكاح وطلاق وخلع وإيلاء ورضاعة ونفقة وصداق وعدة، وكذا أحكام الأطعمة والأشربة... وغير ذلك من سائر المعاملات، بالإضافة إلى أحكام القصاص والحدود.

ولأجل هذا كانت آيات هذه المرحلة محكمة، ليس فيها شيء منسوخ، فما أحل فيها فهو الحلال، وما حرم فيها فهو الحرام. قالت عائشة رضي الله عنها عن سورة المائدة: «أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»[1]

ب – تجلية قضية النفاق؛ إذ تم في هذه المرحلة فضح المنافقين، وتعريتهم، وهتك أستارهم، وكشف مخططاتهم، وبيان شدة عداوتهم وخطرهم على الإسلام

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٨٨/٦ وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى ٣٣٣/٦، والحاكم ٢/ ٣١١، وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

والمسلمين. قال ابن عباس رضي الله عنهما عن سورة التوبة: «هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها».[١]

ج – الحديث عن أصناف المجتمع الإسلامي في نهاية فترة الوحي؛ فهناك السابقون من المهاجرين والأنصار وأتباعهم، وهناك طائفة الأعراب، وفيهم المخلص والمنافق، وطائفة المنافقين من أهل المدينة، وطائفة أخرى خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهناك طائفة مجهولة الحال، لا يعرف مصيرها، قد وكل أمرها إلى الله ﷻ. ثم هناك بعد ذلك كله توجيه المؤمنين إلى التعامل مع هؤلاء جميعاً.

د– تحديد العلاقات الدولية بين المعسكر الإسلامي ومعسكر الشرك عامة، مع إبراز الأسباب الواقعية والتاريخية والعقدية التي قام عليها هذا التحديد.

هـ – التصريح بكمال الدين وتمام النعمة، وتهيئة المسلمين لانقطاع الوحي والتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وقد ربط ذلك كله برباط العقيدة من خلال تصدير بعض الآيات بالنداء التشريفي المتضمن لاتصاف المخاطبين بوصف الإيمان، وأن ما يخاطبون به من مقتضيات ذلك الإيمان الذي ارتضوه، ومن خلال ذكر بعض آيات الله العظيمة المبثوثة في الأنفس والآفاق، وهي آيات تحمل على خشيته ﷻ والإنابة إليه، والعمل بمقتضى أمره ونهيه.

ومن سور هذه المرحلة سورة المائدة، والتوبة، والجمعة، والتحريم، والنصر.[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الحشر ٨/٦٢٩، ومسلم في كتاب التفسير ١٨/١٦٥.

(٢) انظر في الموضوعات القرآنية: مناهل العرفان ١/ ١٨٥ – ٢٣٢، مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، دراسات في التفسير الموضوعي: ٤٩ – ٧٣، مباحث في التفسير =

المبحث الثاني: وحدة الموضـــوع

تقدم في المبحث السابق أن للتنزيل المكي والتنزيل المدني بمراحلهما الست أغراضاً متنوعة، وموضوعات متعددة. وليس معنى هذا أن كل سورة تتضمن جميع موضوعات المرحلة التي تنتمي إليها، بل قد يقتصر الاهتمام فيها على موضوع واحد، أو جزئية من جزئيات ذلك الموضوع؛ حيث نجد من السور المكية مثلاً ما يكون موضوعها متعلقاً بالاستعاذة، وهي من فروع توحيد الألوهية، كما نجد منها ما يتعلق بمقدمات يوم القيامة والأحداث الممهدة له، وهو مندرج تحت حقيقة اليوم الآخر. مما يمكن معه أن يقال إن للسور القرآنية وحدة موضوعية.

ووحدة الموضوع ليس معناها انفصال السورة عن غيرها من السور، وانقطاع علاقتها بما سواها؛ بحيث تكون كأنها فصل من باب، أو مبحث من كتاب، بل المراد أن السورة وإن تعددت موضوعاتها، وكثرت أغراضها؛ يكون لها موضوع بارز، وهدف رئيسي، ومقصود أعظم، ومحور أساسي تظهره آياتها، وتدور حوله أجزاؤها ومقاطعها، وتصب في إطاره موضوعاتها وقضاياها.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز ملخصاً كلام بعض الأئمة: «إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها...»[1]

وقال أيضاً: «ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطاً حقيقياً

= الموضوعي: ٤٢، ٤٣، التمييز بين التنزيل المكي والمدني: ٤ – ٢٠.

(١) النبأ العظيم: ١٥٩. وانظر: الموافقات في أصول الأحكام ٣/ ٢٥٠، ٢٥١.

واضحاً ومحدداً يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء بآخر، إنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة»[١]

ومما يجدر ذكره أن القول بالوحدة الموضوعية للسورة ليس وليد العصر الحاضر، بل قال به بعض المتقدمين من أهل العلم؛ كابن القيم الذي يعد من رواد هذا المجال، ومن المؤسسين له؛ إذ كان يهتم في تفسيره للسورة بذكر الإطار العام للأهداف السامية التي جاءت السورة لتعالجها، والتي تمثل الروح الذي يسري في كيان السورة؛ فيربط بين أجزائها، ويجعل كل جزء منها خادماً للآخر ومخدوماً منه؛ في سبيل تحقيق الرسالة العظمى التي قصد من السورة أن تؤديها.[٢]

ومن تأمل تفسيره – رحمه الله – للفاتحة علم ذلك بيقين؛ إذ يقول في مطلع كلامه: «اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن. فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى. وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل.. وتضمنت إثبات النبوات من جهات عدة..»[٣]

وممن اعتنى بذلك أيضاً برهان الدين البقاعي[٤]؛ فقد ألف كتاباً سماه:

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم: ١١٩.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي: ١١٣.

(٣) التفسير القيم: ٧.

(٤) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط البقاعي الشافعي، المحدث المفسر الإمام =

(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، يذكر فيه مقصد كل سورة، وموضوعها الرئيسي. وصنع ذلك أيضاً في كتابه المسمى: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)؛ إذ نجده يصدر تفسيره لكل سورة بذكر غرضها ومقصودها، فيقول في سورة الفاتحة: «الغرض الذي سيقت له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، واستحقاق العبادة والاستعانة، والسؤال بإلزام صراط الفائزين، والإنقاذ من طريق الهالكين، مختصاً بذلك كله. ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، فهو مقصود الفاتحة بالذات، وغيره وسائل إليه»[1]

= العلامة المؤرخ. ولد سنة ٨٠٩هـ، أخذ عن أساطين عصره كابن حجر وابن ناصر الدين، ومميز وناظر وانتقد على شيوخه، وصنف تصانيف عديدة، من أجلها المناسبات القرآنية وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران وتنبيه الغبي بتكفير عمر الفارض وابن عربي. توفي بدمشق في رجب سنة ٨٨٥هـ. انظر: شذرات الذهب ٣٣٩/٧.

(١) نظم الدرر ١ / ٢٠، ٢١. (بتصرف)

المبحث الثالث : تحديد موضوع السورة

يمكن التعرف على الوحدة الموضوعية للسورة بالاستعانة بأدوات وطرق عدة، منها:

١– دراسة اسم السورة الثابت عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته الكرام رضي الله عنهم؛ فإن النظر في معنى هذا الاسم ودلالاته يترجم في الغالب عن المقصد العام للسورة وموضوعها الرئيسي.

وفي التعبير عن هذا المعنى يقول البقاعي ناقلاً قول شيخه أبي الفضل محمد البجائي المالكي[١]: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة...»[٢]

وقد أفاد البقاعي من هذه القاعدة في كتابه (نظم الدرر) إذ يقول: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه السلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) نظم الدرر ١/ ١٧، ١٨.

والسلام، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها...»[1]

٢- التعرف على سبب نزول السورة، فإنه مما يساعد على تعيين وحدتها الموضوعية. فسورة الممتحنة - مثلاً - نزلت بسبب مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة لأنـــاس من مشركي مكة يخبرهم فيها بتجهز رسول الله ﷺ للقدوم عليهم[2]. ومحور سورة الممتحنة هو قضية الولاء والبراء؛ فقد كان بعض المسلمين الأوائل في المجتمع المدني لا يزالون بعد متأثرين بما اعتادوه من الولاء للقبيلة والعشيرة والعصبة، فجاءت هذه السورة لتلغي ذلك كله، ولتقرر أن الولاء إنما هو لله ورسوله والمؤمنين، وأن البراء ممن عداهم، ولو كانوا من أقرب الأقربين، وتقرر أيضاً من خلال قصة حاطب أن مودة الكفار والنصح لهم، والتقرب إليهم مما يقدح في هذا الأصل الاعتقادي العظيم. وهكذا نجد سبب النزول كاشفاً عن محور السورة، ودالاً عليه.

٣- دراسة الأحاديث والآثار الواردة في فضائل السورة، والتأمل في دلالات ألفاظ تلك الأحاديث ومعانيها، فقد يكشف ذلك عن موضوع السورة ومحورها الأساسي.[3]

٤- النظر في موضوعات السورة وأغراضها الأساسية؛ إذ يفضي ذلك في الغالب إلى معرفة الرابط الذي يجمع بين هذه الموضوعات والأغراض.

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٨، ١٩.

(٢) انظر في تفصيل سبب النزول: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ ٧/ ٥١٩.

(٣) انظر مثالاً لذلك ما سيأتي عند الحديث عن الوحدة الموضوعية لسورة الكهف، وترجيح أن العصمة من الفتن هو محورها؛ احتجاجاً بالحديث الوارد في فضل الآيات العشر من أولها.

٥- تحديد المرحلة الزمنية لنزول السورة، فقد تقدم أن مراحل نزول القرآن تختلف في موضوعاتها وأغراضها، ووجوه معالجاتها. وكل سورة مكية أو مدنية يتعلق محورها وموضوعها الأساسي بواحد أو أكثر من هذه الموضوعات، وقد يكون مقصـــوراً على جزئية معينة من جزئيات هذه الموضوعات، لاسيما إذا كانت السورة قصيرة.

٦- الكشف عن وجوه المناسبات بين فاتحة السورة وخاتمتها، والمناسبات بين مقاطعها؛ فإن ذلك مما يعين على تحديد محور السورة ووحدتها الموضوعية. وذلك أن دراسة هذه المقاطع دراسة تفسيرية متأنية – تكشف عن معانيها الجلية والدقيقة، وتحيط بكل ما قاله السلف فيها – ومحاولة التعرف على أوجه الاشتراك بين هذه المقاطع؛ مما ينير السبيل ويمهد الطريق لمعرفة الرابط والمحور الذي ينتظم السورة كلها.

ومن هنا يمكن القول إن العلاقة بين المناسبات والمحور علاقة مزدوجة، إذ يساعد كل منهما على معرفة الآخر، فبينما يؤدي إدراك المناسبات بين المقاطع والأجزاء إلى التعرف على المحور، يؤدي ظهور المحور في المقابل إلى المساعدة على معرفة ما بين هذه المقاطع من مناسبات. (١)

ومما يجب ملاحظته أنه لا يلزم لتعيين الوحدة الموضوعية للسورة توظيف جميع هذه الأدوات، ولا الاستعانة بكل هذه الطرق، بل قد نصل إلى المقصود بالاقتصار على بعضها، أو واحد منها.

---

(١) انظر في محاور السور ومقاصدها: الموافقات في أصول الأحكام ٢٥١/٣، مباحث في التفســـير الموضوعي: ٤١ – ٤٦، نحو القرآن: ١٠٧، التمييز بين التنزيل المكي والمدني: ٢، ١١، دراسات في التفسير الموضوعي: ٥٣ وما بعدها، النظم الفني في القرآن: ٣١، فواتح السور: ١٧٤.

المبحث الرابع:

الوحدة الموضوعية في سور مختارة

• أولاً: سـورة الفاتحة .

سورة الفاتحة هي أول سور القرآن في ترتيب المصحف العثماني؛ فهي منه في منزلة المقدمة من الكتاب. وقد دلت السنة الصحيحة على أنها أعظم السور وأفضلها[1]، وهذا الوصف يقتضي أن يكون لها من الخصائص ما يميزها عن غيرها. ولعل من أبرز تلك الخصائص أنها قد تضمنت – على قلة آياتها – الأسس والمبادئ التي فصلت في القرآن كله فيما بعد.

قال الرازي موضحاً هذا المعنى: «المقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. فقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ يدل على الإلهيات، وقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ يدل على المعاد، وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يدل أيضاً على إثبات قضاء الله وقدره

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب ٨/ ١٥٦ عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: «كنت أصلي في المسجد فدعاني رسـول الله ﷺ فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سور القرآن ؟ قال: ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وعلى النبوات..»[١]

وقال صاحب الأساس: «إذا كانت الفاتحة هي مقدمة القرآن فقد تجمعت فيها مقاصده ومعانيه، فالقرآن يدور حديثه حول العقائد والعبادات ومناهج الحياة. وقد بدأت السورة بذكر العقائد ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين﴾، وثنّت بالعبادات ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وثلثت بمناهج الحياة ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾. والقرآن دعوة إلى العقيدة أولاً، ثم إلى العبادة، ثم إلى مناهج الحياة. وقد تسلسلت المعاني في هذه السورة على هذا الترتيب»[٢]

وقد يستدل على هذه الحقيقة بما أخرجه البيهقي عن الحسن البصري قال: «أنزل الله ﷻ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنـــزلة»[٣]

ولتلخيص ما تضمنته الفاتحة من الموضوعات؛ فإنه يمكن القول إنها قد تناولت المجالات التالية:

١ – المجال العقدي بفروعه الثلاثة:

---

(١) تفسير الرازي ١/١٤٤.

(٢) الأساس ١/٣٨. وانظر في ذلك: البرهان في تناسب سور القرآن: ٧٧، فتح الباري ٩/٥٤، نظم الدرر ١/٥٢، معترك الأقران ١/٦٨، تناسق الدرر: ٦١، سمط الدرر: ٤ وما بعدها، جواهر البيان: ١٧، النظم الفني في القرآن: ٤٢، نظرة العجلان: ٦.

(٣) الجامع لشعب الإيمان، فصل في فضائل السور والآيات، ذكر فاتحة الكتاب ٥/٣٠٨، ٣٠٩ ح ٢١٥٥.

أ – وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كما في قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم﴾، وقوله ﷻ: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

ب – إثبات الوحي والرسالات كما في قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

ج – تقرير حقيقة اليوم الآخر كما في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

٢ – المجال التشريعي، المفهوم من قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، حيث تضمن ذلك طلب الالتزام بمنهج الله وشرعه في جميع شؤون الحياة.

٣ – المجال القصصي، وما يتضمنه من العبر والدروس المستفادة من حياة الماضين، والإشارة إلى من كان أهلاً لأن يقتدى به من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والتحذير ممن حاد وانحرف عن جادتهم من اليهود والنصارى. ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

وتحت هذه المجالات الرئيسية عدد كثير من الفروع والجزئيات التي فصلت فيما بعد في سائر سور القرآن الكريم، وبهذا الإيجاز والإجمال استحقت سورة الفاتحة أن تكون أمّاً للقرآن ومقدمة له.

ولهذا التنوع المجمل في موضوعات سورة الفاتحة فقد اختلف في تحديد محورها وموضوعها الأساسي؛ فالبقاعي يرى أن محورها هو مراقبة العباد لربهم ﷻ، ويحتج لذلك بأمرين:

أولهما: التزام اسم الله تعالى في كل حركة وسكون داعٍ إلى ذلك. وهو المستفاد من تقديم الجار والمجرور في البسملة.

وثانيهما: أن مدار أسمائها – على كثرتها – على أمر خفي كاف لكل مراد، وذلك هو المراقبة.[1]

---

(١) نظم الدرر ١/٢١، مصاعد النظر ١/٢٠٩.

ويرى بعض الباحثين أن موضوعها الأســـاسي هو العهد والميثاق الذي يصرح به تاليها في قراءته لقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فإن هذا – فيما يرى – إخبار عن المستقبل لا عن الواقع. ويستدل لذلك بقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1] والصلاة لا تستقيم بدون الفاتحة.[2]

والحق أن هذين القولين مع ما فيهما من محاولة جادة للوصول إلى الموضوع الأساسي والمحور الرئيسي لسورة الفاتحة، إلا أن ما ذكر فيهما لا يعدو كونه من موضوعاتها وأغراضها، وليس فيما أورداه من الأدلة ما يثبت ما ذهبا إليه.

والذي أراه أن سورة الفاتحة قد تضمنت أكثر من موضوع؛ يستحق كل منها أن يكون هو المحور، وليس ذلك بممتنع بالنظر إلى منزلتها من القرآن، وكونها أماً له، وبالنظر إلى اختلاف زاوية الرصد. فمن تلك الموضوعات:

١– التعريف بالخالق الرازق ﷻ ووصفه بما يليق به من صـــفات الجلال والكمال؛ ليكون ذلك أدعى للامتثال لما يأمر به في هذه السورة وفي غيرها من سائر السور.

٢– التكليف بالعبادة الذي هو الهدف من خلق الإنسان، فقد بدئت السورة بالثناء على المكلّف سبحانه ثم الأمر بالتكليف، ثم سؤال الله تعالى

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في ترك الصلاة ١٣/٥ ح ٢٦٢١، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة ٢٣١/١، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة ٣٤٢/١ ح ١٠٧٩، والإمام أحمد ٣٤٦/٥ ح ٢٢٩٨٧. وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه ١٧٧/١ ح ٨٨٤.

(٢) انظر: نظام سور الفاتحة والبقرة وآل عمران: ٦٥، ٦٦.

الإعانة عليه بالعمل به فراراً من غضب الله، وأن يكون ذلك العمل موافقاً لما أمر به تعالى فراراً من الضلال. وقد يؤيد هذا المحور مناسبته لمحور سورة البقرة وهو ـــ كما سيأتي – القوامة على شرع الله، أي القوامة على التكليف.

٣– التنبيه إلى أهمية الوحدة ولزوم الجماعة ونبذ الفرقة، وهو الأمر الذي يظهر جلياً من التعبير بنون الجماعة في الفعلين (نعبد) و(نستعين). ولهذا المحور أهميته، فإن هذا الكتاب هو دستور الإسلام، الدين الذي جاء ليحكم الحياة كلها، الدين الذي تقوم عليه الجماعة وتحتكم إليه في كل أمر من أمورها، ولذلك جاء التركيز على هذا الجانب في أول سورة منه.

ومع تعدد الموضوعات الرئيسية على هذا النحو فإنه يبرز في السورة معنى قائم بذاته يستحق أن يكون هو المحور الأساسي والموضوع البارز في هذه السورة؛ ذلك هو بيان الطريق الصحيح للهداية الحقة المتمثل في اتباع منهج الذين أنعم الله عليهم وترك ما عداه من المناهج. ويؤكد هذا المحور كون سورة الفاتحة بمنزلة المقدمة التي اختصرت فيها مقاصد القرآن كله، ومن أهم مقاصده وأبرزها: الهداية، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩)، وقال ﷻ: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (النحل: ٦٤)، وقال سبحانه: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض..﴾ (الشورى: ٥٢، ٥٣).

فسورة الفاتحة لما كانت أماً للقرآن مشتملة على أهم مقاصده ظهر فيها – بشكل بارز – هذا المقصد الهام وهو بيان سبيل الهداية.[1]

(١) فواتح السور: ١٩٦.

قال ابن القيم: «لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذِكْر عبوديتهم وتوحيدهم. فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء... وقد جمعت الفاتحة بينهما، فجمعت بين التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده. ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب – وهو الهداية – بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة»[(١)]

● ثانياً: ســـورة البقرة .

اشتملت سورة البقرة على جملة عظيمة من الأحكام المتعلقة بالعقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق. مع تعرضها المفصل لضلالات أهل الكتاب وزيغهم وانحرافهم، ومحاربتهم لله ورسوله، ومضادتهم لمراده ﷻ، ونقضهم لمواثيقهم، وبيان مواقفهم من الرسالة الخاتمة ومن صاحبها ﷺ.[(٢)]

ولأجل هذا التنوع الموضوعي للسورة تعددت الأقوال في تحديد محورها وموضوعها الرئيسي الذي يمكن أن يجمع هذه الموضوعات المختلفة في إطار واحد. فالبقاعي يرى أن الإيمان بالبعث هو محور السورة؛ حيث يقول: «والمقصود من هذه السورة إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، ومداره

(١) مدارج السالكين ١/٤٧.

(٢) للاستزادة في موضوعات سورة البقرة انظر: النبأ العظيم: ١٦٣، سمط الدرر: ٣٤، تفسير المراغي ٣/٨٩، صفوة التفاسير ١/٢٩، إيجاز البيان: ٨، التحرير والتنوير ١/٢٠٣، الأساس ١/٦٧٣.

الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب فلذلك سميت بها السورة...»[1]

أما ابن عاشور فيرى أن موضوع السورة ذو شقين:

أحدهما: إثبات علو هذا الدين على ما سبقه وسموه ورفعة منزلته.

والآخر: إصلاح المجتمع ببيان الشرائع التي تضمنها هذا الدين.[2]

وذهب محمد عبد الله دراز إلى أن لسورة البقرة أربعة مقاصد رئيسية:

«المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم، والدخول في هذا الدين الحق.

المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها»[3]

وجعل محمد طاهر الموضوع الرئيس مكوناً من أربعة أمور، أولها: إثبات وحدانية الله جل وعلا بالبراهين والحجج. وثانيها: إثبات صدق الرسول ﷺ وصحة ما أوحي إليه مع إثبات القيامة. وثالثها: الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله. ورابعها: الأمر بالإنفاق فيه.[4]

وذهب آخر إلى أن موضوع سورة البقرة يتمثل في تقرير صحة القرآن والدعوة إلى الإيمان به. واستدل لذلك بما ورد في فاتحة السورة من الإشادة

(١) نظم الدرر ١/٥٥، مصاعد النظر ٢/٩.

(٢) التحرير والتنوير ١/٢٠٣.

(٣) النبأ العظيم: ١٦٣.

(٤) سمط الدرر: ٣٣.

بالقرآن والتنويه بشأنه، وبما ورد في خاتمتها من الثناء على الرسول ﷺ وصحبه لإيمانهم به.[١]

ومع هذا التعدد لوجهات النظر فإنه يمكن القول إن المحور الذي ينتظم موضوعات هذه السورة مع كثرتها؛ هو محور واحد مزدوج ذو خطين رئيسيين مترابطين ترابطاً شديداً؛ فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة واستقبالهم لها ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى. وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة الإسلامية في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام صاحب الحنيفية الأولى وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم.

وعلى هذا فالمحور الذي تدور حوله موضوعات السورة هو الحديث عن الأمانة التي تحملها الإنسان: أمانة خلافة الله في الأرض، أمانة العبادة، أمانة إقامة الدعوة إلى الدين الحق وتطبيقه تطبيقاً كاملاً بعقائده وشرائعه. وبعبارة أخرى: الحديث عن القوامة على دين الله بكل ما تتضمنه كلمة القوامة من معنى.

واستعراض موضوعات السورة الرئيسية يؤكد هذا المحور؛ فهي قد بدئت بالحديث عن مواقف الناس من دين الله، وانقسامهم في ذلك إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين، ثم ثنّت بالدعوة الإلهية للناس جميعاً بالتزام هذا الدين ﴿يا أيها

(١) نظام سور الفاتحة والبقرة وآل عمران: ٦٠٤.

الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ (الآية: ٢١)، ثم ثلثت بذكر خلق آدم وبيان الحكمة منه ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (الآية: ٣٠)، ثم شرعت بعد ذلك في الحديث عن بني إسرائيل باعتبارهم مستأمنين على هذه القوامة قبل بعثة نبينا محمد ﷺ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم..﴾ (الآية: ٤٠) فبينت انحرافهم عن الجادة، وتخليهم عن هذا الشرف بما أحدثوه من تحريف وتبديل لدين الله. ثم انتقلت السورة بعد ذلك للحديث عن فضل هذه الأمة وشرفها وعلوها على سائر الأمم، والحديث عما به قوام هذا الدين من الشرائع التي تحقق مصالح الناس وسعادتهم في معاشهم ومعادهم. ثم ختمت بالحديث عن بعض صفات مؤمني هذه الأمة في معرض الإشادة بهم وبيان صدق إيمانهم وتسليمهم بقضاء الله ورضاهم بما يشرع لهم[1]، وتوجههم بعد ذلك إلى الله تعالى بطلب الرحمة والمغفرة والثبات والنصرة.. ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..﴾ (الآيتان: ٢٨٥، ٢٨٦).[2]

● ثالثاً: سورة الكهف .

اهتمت سورة الكهف بموضوعات المرحلة المكية التي نزلت فيها؛ وهي موضوعات العقيدة بصفة عامة؛ إذ يلاحظ فيها تقرير ما يلي:

– الدعوة إلى توحيد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

---

(١) جاء في سبب نزول خاتمة هذه السورة قول النبي ﷺ للصحابة: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ٢/ ١٥٤.

(٢) فواتح السور: ٢٠٤.

– بيان صدق الرسول ﷺ في دعوته، ووجوب الإيمان برسالته، وبيان أنه بشر يوحى إليه من ربه، وأن مهمته البشارة والنذارة.

– الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، وذكر مشاهد القيامة، وعرض موقف الحساب والمناقشة والمخاصمة.

لكن الغالب على أسلوب السورة وسياقها العام هو الجانب القصصي؛ ففي أولها ذكر قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة صاحب الجنتين، ثم إشارة سريعة إلى قصة آدم وإبليس. وفي منتصفها عرض لقصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين. وقد استغرق هذا القصص معظم آيات السورة؛ فاقتطع إحدى وسبعين آية من المجموع الكلي للآيات. وجاء معظم ما تبقى من آيات السورة تعليقاً أو تعقيباً على ما ورد فيها من القصص. وتخلل ذلك بعض الومضات السريعة كالدعوة إلى صبر الأنفس مع الداعين ربهم بالغداة والعشي، والتعريض بفناء الدنيا وسرعة زوالها، والتأكيد على أن العزة الحقيقية إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح، وافتتاح السورة واختتامها بما ينسجم مع ذلك كله ويتلاءم معه.

أما الوحدة الموضوعية للسورة ومحورها الأساسي فقد اختلف المؤلفون فيه، فقال بعضهم: هو الحديث عن القيم والموازين التي يتمكن بها المؤمن من التمييز بين الحقائق والأباطيل، والصدق والكذب، والصحيح والزيف. وفي مقدمة ذلك الحقيقة العظمى التي يجب على كل مؤمن إدراكها؛ وهي صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وثبوت رسالته، وزيف الدعوات المناقضة لها، مهما موّهت واقعها بالشعارات وزخارف القول. واحتج لكون ذلك هو محور السورة بما يلي:

١– سبب نزول السورة [1]؛ فقد تبين منه أن الدافع من وراء إرسال

(١) ورد في سبب نزول السورة أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى =

قريش وفداً إلى يهود المدينة للتحقق من صدق محمد ﷺ كان ضياع الميزان القويم الذي يدركون به الحق من الباطل. وسبب فقدانهم لهذا الميزان هو انخداعهم بمظاهر خادعة من زخرف الحياة الدنيا، وجعلها ميزاناً للحق والباطل، فقد ظنوا أن الغنى والجاه وكثرة الرجال هو المقياس الحقيقي الذي يجب تحكيمه في اختيار الرسل، واختصاصهم بالوحي وتبليغ الرسالة.

٢- قول النبي ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». وفي رواية: «من آخر سورة الكهف»[١] وسر هذه العصمة يكمن فيما يكتسبه المؤمن الحافظ أو القارئ لسورة الكهف من المبادئ والحقائق التي اختزلت في الافتتاحية، وأكدت في الخاتمة، وفصلت في المقاطع. فمن وعاها حق الوعي، والتزم بها اعتقاداً ومنهج حياة؛ فقد أمسك بالميزان الحق، والنور المضيء، الذي يفرق به بين الصحيح والسقيم.[٢]

وذهب فريق ثان إلى أن موضوع السورة ومحورها الأساسي هو العقيدة بصفة عامة، وتصحيحها في جانب الإيمان بالغيب بصفة خاصة. فقد ركزت

= أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فَرَوْا فيه رأيكم... الحديث. انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٩١، ١٩٢، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٠٠ وما بعدها. وفي سنده مجهول، وقد ضعفه أحمد السلفي في تعليقه على الفتح السماوي ٢/٨١٦.

(١) أخرج الروايتين مسلم في فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف ٦/ ٩٢، ٩٣.

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ١٧٦ - ١٧٨، دراسات في التفسير الموضوعي: ١٤٦.

السورة على ضرورة إفراد الله تعالى بعلم الغيب والإحاطة به، فالمعتمد في ذلك كله هو ما أخبرنا به سبحانه وأطلعنا عليه. ونستطيع أن ندرك ذلك بوضوح من خلال ما يلي:

١– قصة أصحاب الكهف، وهي القصة التي ما كان للعرب أن يعرفوا وقائعها وتفصيلاتها الغيبية لولا ما ساقه تعالى في هذه السورة. ولا يدفع ذلك ما عند أهل الكتاب من إلمام بها، فهو إلمام يشوبه الظن والتخمين: ﴿رجماً بالغيب﴾ (آية: ٢٢)، ويقدح فيه الخوض في جزئيات وتفصيلات، علمها لا ينفع، وجهلها لا يضر: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ (آية: ٢٢).

٢– عدم إدراك المغيبات يسرى على جميع الخلق، حتى المقربين منهم كالملائكة والمرسلين، فالرسول ﷺ وهو أكرم الخلق، خفي عليه إدراك ما في غده: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ (الآيتان: ٢٣، ٢٤).

٣– قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وهي أكثر القصص دلالة على هذا المعنى؛ لاشتمالها على وقائع وأحداث لا يمكن أن تفسر إلا من خلال العلم الغيبي؛ فإن تصرفات العبد الصالح لا يقرها الشرع ولا يجيزها العقل؛ فهي إما إتلافٌ لمال محترم، أو قتلُ نفس محرمة بغير حق ظاهر، أو بذلٌ لمعروف في غير وجهه اللائق. ولا يمكن أن تبرر هذه التصرفات إلا بعرضها على الصعيد الغيبي المليء بالآيات والمعجزات: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ (آية: ٨٢).

٤– قصة ذي القرنين، وهي قصة يحيط بأحداثها جو من الغموض المقصود الذي لا يمكن كشف أستاره، ولا يملك معه السامع إلا أن يرد الأمر كله إلى من لا تخفى عليه خافية. فالعين الحمئة، والقوم الذين ليس لهم ستر من الشمس، والسدّان، ويأجوج ومأجوج، بل وشخصية ذي القرنين نفسه، كلها

أمور لا ندرك من تفصيلاتها إلى القليل.

وهكذا نجد موضوعات السورة قد اختيرت بعناية لتعالج «شؤون الغيب، وتردها جميعاً إلى الذي يحفها بالأسرار، ولا يميط عنها اللثام إلا بمقدار، ولا يأذن لأحد برؤيتها إلا من وراء ستار»[1]

وذهب آخرون إلى أن محور السورة هو العصمة من الفتن[2]. وهذا القول – مع وجاهة القولين قبله – هو الراجح لأمرين:

أحدهما: اسم السورة (الكهف)، فإنه بمعنى المكان الآمن الذي يأوي إليه الإنسان؛ محتمياً من البرد أو الحر أو المطر أو الوحوش الضارية؛ فيجد فيه الأمن والراحة والأنس. وقضايا السورة إذا اعتنقها الإنسان، وعمل بمقتضاها؛ كانت كالملاذ له والملجأ من الفتن والضلال، فكأنه يأوي إلى كهف معنوي يقيه من شرورها.

والأمر الثاني: هو حديث رسول الله ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[3] فكأن التالي لهذه السورة قد أوى إلى ملاذ يقيه شرور الفتن، وعلى رأسها فتنة الدجال. قال النووي: «قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها قوله تعالى: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا..﴾ الآيات»[4]

---

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح: ٢٢٥.

وانظر: سمط الدرر: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) ذكر هذا القول الدكتور مصطفى مسلم في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي هامش ص: ٤٢، وعزاه إلى الشيخ عبد الحميد طهماز.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٩٣.

لقد عرضت سورة الكهف من خلال ما ورد فيها من القصص أهم أسباب الفتنة؛ ففي قصة أصحاب الكهف ذكرت فتنة السلطان، وفي قصة صاحب الجنتين عرضت فتنة المال والرجال، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام عرضت فتنة العلم، وفي قضية ذي القرنين عرضت فتنة الأسباب والقدرات المادية، وفي المقدمة والخاتمة اختصار وتأكيد لما فصّل في ثنايا السورة، وتقرير لسبيل النجاة والفلاح.[١]

● رابعاً: سـورة الأحزاب .

تعددت موضوعات سورة الأحزاب وتنوعت لتشمل الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة بحكم نزولها بعدهما مباشرة وأسـهبت في ذكر أولاهما، وصورتها تصويراً دقيقاً يكشف عن حقيقة المؤامرة على الإسلام والتحالف على المؤمنين، ويوضح خفايا المنافقين، ويحذر من أساليبهم في الكيد والتخذيل والتثبيط، ويذكّر المؤمنين بنعمة الله عليهم في رد كيد أعدائهم ونصرهم عليهم.

كما تحدثت السورة أيضاً عن جملة من الأحكام التشريعية، كحكم الظهار والتبني والإرث، والزواج من مطلقة المتبنى، وتعدد زوجات النبي ﷺ، وحكم الحجاب الشرعي، وآداب الوليمة، وحكم الصلاة على النبي ﷺ.[٢]

ومع هذا التعدد الموضوعي فإن الناظر في السورة وسياقها العام، والمرحلة الزمنية التي نزلت فيها، والظروف التي اكتنفتها؛ يلحظ بوضوح تركيز السورة على الحديث عن رسول الله ﷺ وبيان حقه، وكبير قدره، ووجوب احترامه وطاعته، ومشروعية الصلاة والسلام عليه، وتحريم إيذائه في نفسه وأهله، وذكر

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: ١٧٨.

(٢) انظر: صفوة التفاسير ٥٠٩/٢.

بعض خصائصه ﷺ.

وهذا الموضوع البارز نجده بوضوح في فاتحة السورة التي صدرت بنداء الله تعالى له ﷺ وأمره بالتقوى والإعراض عن الكافرين والمنافقين، وتوجيهه إلى التوكل على ربه ﷻ. وفي ذلك ما فيه من تسليته عليه الصلاة والسلام والتخفيف عنه، وتذكيره بالركن الشديد الذي يأوي إليه: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ (الآيات: ١–٣).

وفي بداية المقطع الأول يأتي التنبيه إلى مكانته ﷺ بالنسبة للمؤمنين، ومكانة أزواجه: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (آية: ٦). ثم يأتي ذكره ﷺ مع إخوانه من المرسلين الذين أخذ عليهم العهد والميثاق بالوفاء بما التزموا به، وتصديق بعضهم بعضاً: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ (آية: ٧).

أما وجوب الاقتداء به ﷺ في إخلاصه، وجهاده وصبره، وتقرير كونه المثل الأعلى الذي يجب على كل مسلم أن يقتدي به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فنجده في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (آية: ٢١).

وفي معرض تخيير أزواجه ﷺ بين الطلاق وتحصيل زينة الحياة الفانية، وبين البقاء معه ﷺ والصبر على شظف العيش – يتضح زهده عليه الصلاة والسلام في متاع هذه الحياة الدنيا الزائل، وزخرفها الفاني. كما تتضح مكانة أزواجه ﷺ وآل بيته رضوان الله عليهم أجمعين: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾ – إلى قوله تعالى – ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله

والحكمة...﴾(الآيات: ٢٨ – ٣٤).

ثم تتوالى بعد ذلك المواضع التي تتحدث عنه ﷺ، فموضع يورد بعض الأحكام المتعلقة بأزواجه عليه الصلاة والسلام، وما يحل له من النساء وما لا يحل، وموضع يبطل تبنيه ﷺ لزيد بن حارثة ﷺ، ويقرر أنه النبي الخاتم، وموضع يصرح برسالته ﷺ ويذكر جانبي مهمته – البشارة والنذارة – وموضع يبين الأدب الذي يجب على المؤمنين أن يتحلوا به في تعاملهم معه ﷺ إذا دخلوا بيوته، وموضع يأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ، موضحاً مكانته عند ربه ﷻ، وعند ملائكته المقربين. وفي ختام السورة يأتي التنبيه على أهمية طاعته ﷺ وأنها فرع عن طاعة الله تعالى، وإثبات فوز الممتثل لأوامره، والمنتهي عن نواهيه: ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (آية: ٧١).

وهكذا نلاحظ بروز الحديث عن الرسول ﷺ في أكثر آيات السورة، وفي جميع مقاطعها، بدءاً بالفاتحة، وانتهاءً بالخاتمة. وهو حديث لا يقتصر على ما ركزت عليه السور المكية من إثبات رسالته وإبطال شبه المشركين حولها، بل يتجاوز ذلك إلى التبصير بمكانته وما يجب له من الطاعة والتوقير وحسن الأدب في القول والفعل.[1]

● خامساً: سورة التحريم.

فتحت سورة التحريم بمعاتبة النبي ﷺ لتحريمه بعض ما أحل الله إرضاءً لبعض زوجاته. وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش، ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير[2]، أكلتَ

(١) انظر: فواتح السور: ٥٠٦.

(٢) المغافير: جمع مغفور بضم الميم، وهو صمغ حلو له رائحة كريهة. انظر: فتح الباري =

مغافير. فدخل على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: لا بأس، شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعود إليه. فنزلت: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك – إلى – إن تتوبا إلى الله﴾ لعائشة وحفصة ﴿وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ لقوله: بل شربت عسلاً »[1]

وعن أنس ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾ إلى آخر الآية»[2]

قال ابن حجر: «يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً».[3] أي: بسبب تحريمه ﷺ العسل، وتحريمه أمته.

ثم جاء التعقيب على ذلك وما نزل بشأنه بتوجيه أولياء الأمور إلى رعاية الأمانة، والقيام بحقها، واتباع السبل المنجية لهم من سخط الله وأليم عقابه. يلي ذلك توجيه المؤمنين جميعاً إلى وجوب التوبة الصادقة، التي تفضي إلى رضوان الله تعالى وما أعده لعباده من النور التام والنعيم المقيم. وفي الختام تضرب الأمثال لفريقي المؤمنين والكافرين، وهي أمثال تنبئ عن حكم الله الباهرة وسننه الماضية وتدبيراته العظيمة.

= ٣٧٧/٩.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك ؟ ٣٧٤/٩.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء، باب الغيرة ٧١/٧ ح ٣٩٥٩، والحاكم في تفسير سورة التحريم ٤٩٣/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطلاق، باب من قال لأمته: أنت عليّ حرام لا يريد عتاقاً ٣٥٣/٧ ح ١٤٨٥٣. وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري ٣٧٦/٩.

(٣) فتح الباري ٦٥٧/٨.

وبنظرة فاحصة في موضوعات السورة يتضح أن محورها وموضوعها الرئيسي هو إيضاح الأساس التربوي بمنهجه الأصيل، وما ينبغي بمقتضاه على الرجل الراعي تجاه رعيته من الأزواج والذرية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..﴾.

وفي هذا السياق، ولأهمية قيام الرجل بهذه المسؤولية العظيمة وخطورة التقصير فيها بالاعتماد على الظن الحسن في صلاح البيت، والثقة المفرطة في أفراد الأسـرة جاء الحديث عن بيوت بعض المرسلين – أشرف الخلق – وما حصل فيها من الخلل المحتاج إلى الإصلاح والتقويم، فهذا بيت رسول الله ﷺ وقعت فيه الغيرة بين نسائه عليه الصلاة والسـلام، فتظاهرت عليه منهما اثنتان، وتسببتا في تحريمه ﷺ بعض ما أحل الله له. وهذان بيتا رسولين من رسـل الله – نوح ولوط – وقعت فيهما خيانة الزوج، ومخالفة أمره، والخروج على منهجه.

فليحرص أرباب البيوت على تربية أفراد الأسرة، وعلى تنشئتهم النشأة الصحيحة، وتعليمهم العلم النافع، والسلوك بهم سلوك المنعم عليهم. ثم ليعلموا أن الهداية بيد الله فهو الذي وفق امرأة فرعون للإيمان مع نشوئها في بيت كافر، فليعتمدوا عليه سبحانه، وليلجؤوا إليه داعين متضرعين بأن يصلح بيوتهم وذرياتهم، وليتذكروا مريم ابنة عمران التي منّ الله عليها بالتوفيق والتسديد والتكريم استجابة لدعاء أمها حين قالت: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ (آل عمران: ٣٦).[1]

(١) انظر: فواتح السور: ٧٤٤.

الخـــــاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد تبين لي من خلال هذا البحث المختصر في الوحدة الموضوعية ما يلي:

١- تنقسم الفترات الزمنية لنزول القرآن الكريم إلى فترة مكية بمراحل ثلاث، وفترة مدنية بمراحل ثلاث أيضاً.

٢- تختلف موضوعات الفترة المكية عن موضوعات الفترة المدنية، كما تمتاز أيضاً المراحل الزمنية لكل فترة بخصائص موضوعية، تنفرد بها عن غيرها.

٣- لكل سورة قرآنية طالت أو قصرت وحدة موضوعية مستقلة. ولا يعني هذا انفصال السورة وانقطاعها عن غيرها من سور القرآن، بل المراد أنها وإن تعددت موضوعاتها إلا أنها تنفرد بمحور أساسي ومقصود بارز تمتاز به.

٤- القول بالوحدة الموضوعية للسور القرآنية ليس فكرة جديدة، بل قال به بعض المتقدمين من أهل العلم.

٥- لمعرفة الوحدة الموضوعية في السورة لابد من الاستعانة بأدوات عدة، منها: النظر في دلالة اسم السورة، ومعرفة سبب نزولها، وفضائلها، واستعراض موضوعاتها الهامة وقضاياها البارزة، ومحاولة التعرف على المرحلة الزمنية التي نزلت فيها، والنظر في المناسبات بين مقاطعها، وبين فاتحتها وخاتمتها.

قائمة المصادر

١– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م.

٢– الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة١، ١٤٠٥هـ.

٣– إيجاز البيان في سور القرآن، محمد على الصابوني، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٤– البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٥– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٦– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧– تفسير الرازي، وهو التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨– تفسير الطبري، وهو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩– التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٠– تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ.

١١– التمييز بين التنزيل المكي والمدني، د. مصطفى مسلم، وهي مذكرة ألقيت على طلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض.

١٢– تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٣- الجامع لشعب الإيمان، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بمباي – الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، مكتبة القاهرة، القاهرة.

١٥- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٦- سمط الدرر في ربط الآيات والسور، محمد طاهر، مركز جماعة إشاعة التوحيد والسنة، باكستان.

١٧- سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة، ١٤١٤هـ.

١٨- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

١٩- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٠- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٢١- السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٢- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مؤسسة علوم القرآن.

٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٤- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبوع بهامش صحيح مسلم الآتي برقم (٢٧).

٢٥- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ومعه شرحه: فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
٢٦- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٧- صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ومعه شرحه للنووي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٢٨- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ.
٢٩- العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبوع مع صحيح البخاري المتقدم برقم (٢٥).
٣١- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق وتعليق: أحمد السلفي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٣٢- فواتح السور وخواتيمها، د. عبد العزيز الخضيري، رسالة دكتوراه غير منشورة.
٣٣- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٤- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشرة، ١٩٨٨م.
٣٥- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٠هـ.
٣٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٧- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، بيروت.

٣٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

٣٩- المسند، الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٤٠- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤١- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، اعتنى به: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٣- الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٤- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم.

٤٥- نحو القرآن، د.محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٤٦- نظام سور الفاتحة والبقرة وآل عمران، د. محمد عناية الله محمد هداية الله، رسالة دكتوراه غير منشورة.

٤٧- نظرة العجلان في أغراض القرآن، محمد كمال الخطيب، المطبعة العصرية، دمشق.

٤٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٤٩- النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٧٥
المبحث الأول : الموضوعات القرآنية ٧٧
المبحث الثاني: وحدة الموضـــوع ٨٦
المبحث الثالث : تحديد موضوع السورة ٨٩
المبحث الرابع: الوحدة الموضوعية في سور مختارة ٩٢
- أولاً: ســـورة الفاتحة..... ٩٢
- ثانياً: ســـورة البقرة ٩٧
- ثالثاً: ســـورة الكهف ١٠٠
- رابعاً: ســـورة الأحزاب..... ١٠٥
- خامساً: سورة التحريم ١٠٧
الخـــــاتمة ١١٠
قائمة المصادر..... ١١١
فهرس الموضوعات..... ١١٥